حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

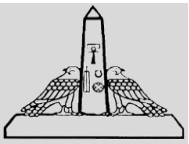

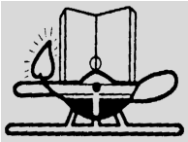

انثروبولوجيا العنف
في المجتمع العراقي القديم والحديث
" محاولة أنثرو – تاريخية "

زينب محمد صالح *

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

المستخلص

تعد الانثروبولوجيا من العلوم الانسانية التي تهتم بدراسة الانسان، وبالاعم الاشمل الشعوب لا سيما ثقافاتها وحضاراتها، وما تتمتع به من عادات وطقوس وشعائر واداب وتراث ومسميات وفلكلور وفنون، وفضلا ما يحدث بها من صراعات وتوترات وخلافات نتيجة للتفاعلات الاجتماعية، حضارة العراق من أقدم الحضارات في الشرق الأوسط وقد أدت عوامل عدة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية وتربوية ودينية، وان نشوء الحضارة العراقية جاء نتيجة وجود النهرين العظيمين دجلة والفرات وعوامل أساسية نابعة من طبيعة المجتمع العراقي . غير أن بناء هذه الحضارة ترافق مع أعمال عنف وسفك للدماء وفي حقب مختلفة. ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا بأن المجتمع العراقي كان من أكثر المجتمعات التي تعرضت لأعمال عنف وظلم واضطهاد مقارنة بغيره من المجتمعات البشرية ومن المدهش أن النهوض الحضاري في العراق لم يتوقف على الرغم من كل المآسي التي حلت به. والجدير بالذكر أن الحكومات المتعاقبة التي حكمت العراق في حقب تاريخية مختلفة كانت تأتي إلى الحكم وتذهب من خلال أعمال عنف وتدمير وسفك دماء حتى أصبحت هذه الظاهرة المألوفة في المجتمع العراقي.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة:

تعدالانثروبولوجيا من العلوم الانسانية التي تهتم بدراسة الانسان ، وبالاعم الاشمل الشعوب لاسيما ثقافاتها وحضاراتها ، وماتتمتع به من عادات وطقوس وشعائر واداب وتراث ومسميات وفلكلور وفنون ، فضلا مايحدث بها من صراعات وتوترات وخلافات نتيجة للتفاعلات الاجتماعية حضارة العراق من أقدم الحضارات في الشرق الأوسط وقد أدت عوامل عدة إلى على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية وتربوية ودينية.

ان نشوء الحضارةالعراقية جاء نتيجة وجود النهرين العظيمين دجلة والفرات وعوامل أساسية نابعة من طبيعة المجتمع العراقي . غير أن بناء هذه الحضارة ترافق مع أعمال عنف وسفك للدماء وفي حقب مختلفة. ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا بأن المجتمع العراقي كان من أكثر المجتمعات التي تعرضت لأعمال عنف وظلم واضطهاد مقارنة بغيره من المجتمعات البشرية ومن المدهش أن النهوض الحضاري في العراق لم يتوقف على الرغم من كل المآسي التي حلت به.

ومما يجدر ذكره بأن الحكومات المتعاقبة التي حكمت العراق في حقب تاريخية مختلفة كانت تأتي إلى الحكم وتذهب من خلال أعمال عنف وتدمير وسفك دماء حتى أصبحت هذه الظاهرة مألوفة في المجتمع العراقي .

لقد شهد العراق أعنف الصراعات الدموية في تاريخه الطويل وقد رافق هذه الصراعات أعمال قتل وسفك للدماء وتهجير وحرق المدن وإتلاف للمزروعات وتدمير البنى الاقتصادية واختلال في التوازن الاجتماعي إذ كثرت الأرامل وازداد عدد اليتامى، الأمر الذي جعلنا نقول بأن القسوة أصبحت ملازمة لسلوك العراقيين وفي حقب تاريخية مختلفة.

ومن الضرورة بالإمكان أن نناقش الأسباب التي أدت الى انتشار ظاهرة العنف في المجتمع العراقي على مدى تأريخه الطويل فقد كان العراق ولا يزال يتمتع بموقع جغرافي مهم هو " الأرض " التي تلتقي فيها حضارات مختلفة وهو حلقة الوصل بين مجتمعات مختلفة.

فضلاً عما ينعم به العراق من خيرات كثيرة بفضل وجود الرافدين العظيمين دجلة والفرات اللذان ساعدا على نشوء أقدم الحضارات في وسط العراق وجنوبه ، وقيام أكبر الإمبراطوريات في الشرق ، مما جعله محط أنظار الطامعين من مختلف المجتمعات والأمم القريبة منها والبعيدة.

وستتناول الباحثة المحاولة الانثرو – تاريخية وحسب التسلسل الزمني وكألآتي :

اولاً: ظاهرة العنف في العراق القديم .
ثانياً : ظاهرة العنف بعد ظهور الأسلام.
ثالثاً : ظاهرة العنف بعد سقوط بغداد .
رابعاً : ظاهرة العنف في القرن العشرين .
خامساً : ظاهرة العنف بعد ثورة العشرين .
سادساً :ظاهرة العنف بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .
سابعا : ظاهرؤة العنف بعد عام ١٩٦٨ .
ثامناً : ظاهرة العنف بعد عام ١٩٨٠ .
تاسعا : ظاهرة العنف بعد عام ١٩٩١ .
عاشراً : ظاهرة العنف بعد عام ٢٠٠٣ .

اولآ : ظاهرة العنف في العراق القديم:

لقد شهد المجتمع العراقي القديم صراعا من نوع آخر وهو الصراع بين الإرادات المختلفة للآلهة التي عُبدَت آنذاك مما زاد من أعمال العنف وسفك الدماء إذ أصبحت هذه الظاهرة ترافق المجتمعات العراقية وفي مختلف الأزمنة [١] .هذه الآلهة التي عبدتها وخضعت لها الأقوام والحضارات التي كانت بلاد وادي الرافدين منذ الألف الرابع ق .م. عاصمة للأساطير والملاحم التي دبجتها شعوب سومر بابل وآشور [٢].وقد كانت بلاد الرافدين في بداية الألف الثالث ق.م عاصمة لما سميَّ لعصور فجر السلالات، إذ كانت مدينة تحكم من قبل سلالة معروفة وكذلك سميت هذه العصور بعصور" دول المدن" لأن المدن أصبحت لها سلطة ونفوذ واستغلال ولكن المشكلة أن هذه المدن كانت تعيش في صراع دموي متواصل وكان صراع نفوذ وسيادة على المنطقة ما يمكن أن نعده البواكير الأولى للعنف المنظم في العراق ، ناهيك إن هذه المدن – الدول ، كانت تتعرض إلى هجمات وغزوات من الأقوام والشعوب البدائية والتي كما ذكرنا كانت تجتاح المنطقة بين الفينة والأخرى فكثيرا ما يتردد أمامنا إن مملكة كيش[*] سيطرت على بلاد سومر وكذلك "مملكة أوروك" [*] سيطرت على بلاد سومر وهكذا دواليك مما جعل الهاجس الأمني والنزعة العسكرية تأخذ بعدا كبيرا في تفكير الحاكم في بلاد الرافدين آنذاك حتى قامت الحضارة الآشورية التي كانت حضارة عسكرية صرفة وإن نبو خذ نصر سجلت له أحداثا برّزت الجانب العنيف في شخصيته وردود فعله العنيفة ضد اليهود عندما تآمروا على العرش ، ويشير (الباحثون) إلى أن الآشوريين كانوا أول الشعوب التي اكتشفت معدن الحديد مما(قسى قلوبهم وجعلهم جفاة غلاظ الأكباد فاتجهت كل إرادتهم إلى تحقيق الانتصارات بكل وسيلة)[٣]. إذا أردنا أن لا نهرب من الحقيقة فأن هذا الوصف على الآشوريين إنما هو أحد جوانبه وأشكاله وصفا لميزات الشعب العراقي لأن الآشوريين كانوا هم شعب العراق في الألف الثاني ق.م وما بعده [٤].

وقد استمرت مملكة آشور في القوة والاستعداد العسكري ونشر الرعب والخوف في أرجاء وادي الرافدين فاحتلوا بابل مرتين وانتصروا في عهد ملوكهم (تجلات بلاصر الأول) على أربعين دولة وكان هذا الملك مشغوفا بإخضاع الشعوب وقصرها وفرض الجزية وسلب الخيرات حتى انعكست قيم العنف هذه في الحضارة الآشورية على قوانينهم وتشريعاتهم فكانت المواد القانونية تميل لإنزال العقوبات الجسدية القاسية والشرسة بحق المدنيين ولنا أن نذكر مثالا : نص المادتين الرابعة والخامسة من القانون الآشوري لنستدل بها على وجود هذا المنهج الدموي حتى في صياغة القوانين. وقد نصت المادة الرابعة على :(إذا تسلم عبدا أو أمة من يد امرأة أو رجل شيئا ما فعلى المرء أن يجدع أنف العبد أو الأمة أو يقطع أذنيهما كما يجب تعويض المال المسروق وعلى الرجل أن يقطع أذني زوجته) ...إلخ المادة . أما المادة الخامسة التي لا تقل قسوة ودموية من المادة الرابعة فقد نصت على:(إذا سرقت امرأة رجل من بيت رجل آخر (حاجة) ما تزيد قيمتها عن مينه من الرصاص فعلى زوجها تسديد المسروق ولكن عليه أن يقطع أذنيها(*) عقابا لها وإذا لم يكن زوجها مستعدا فعلى صاحب الشيء المسروق أن يأخذها ويجدع أنفها) [٥].

ثانيا : ظاهرة العنف بعد ظهور الاسلام:

استمر العنف بوصفه طابعا مميزا للمجتمع العراقي بعد ظهور الإسلام والفتح الإسلامي للعراق إذ أصبح العراق ساحة حرب وتصفية حسابات سابقة بين أقطاب الصحابة (معركة الجمل ٣٦ هـ) فبعد هذه المعركة التي يعدها بعض الكتاب على أنها من الحروب الأهلية حيث دارت بين العرب أنفسهم وكانت تمثل نوع من الصراع على السلطة الشرعية التي يمثلها الإمام علي (ع) وبين ما يمكن أن نطلق عليهم متمردين على هذه السلطة وانتهت تلك المعركة بانتصار جيش الإمام علي (ع) واتخاذه سلسلة من الإجراءات التي كان من شأنها أن توفر السلم الأهلي في ربوع العراق. وكان من نتائج هذه المعركة اتخاذ الإمام علي (ع) الكوفة عاصمة له

وكان لهذا الموقف أبعاده السياسية منها أن العراق أصبح عاصمة لمناصري أمير المؤمنين وأتباعه على الرغم من الصراعات التي كانت تحدث فيه التي أدت إلى إنهاك الدولة بسبب سلسلة التمردات والعناد والتشتت وظهور الفرق الخارجة على الخلافة وكانت خطب الإمام (ع) تزخر بذلك الكم الهائل من الهموم والشكوى مما عاناه من وجوده في العراق [٦].

كانت أولى المشاكل التي واجهها الإمام (ع) في العراق هي خروج معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام ورفض البيعة للإمام علي (ع) إذ كشف على نحو سافر نواياه ورغبته بالانسلاخ والاستقلال على السلطة المركزية[٧].

لقد كان رد الإمام علي(ع) حازما باتجاه معاوية وكان من نتائجه (معركة صفين سنة ٣٩ هـ) جرت المعركة بين الطرفين في منطقة الرقة السورية على ضفاف نهر الفرات،وانتهت المعركة التي كان من المؤمل أن تنتهي بانتصار الإمام علي (ع) بقضية التحكيم المشهورة وانشقاق جيش الإمام في ما عرف في التاريخ بالخوارج الذين قاتلهم الإمام وكان من تداعيات هذه الأزمات أن اغتيل الإمام بسيف مسموم[*] كما هو مشهور[٨].

إن هذه الفتن والاضطرابات التي رافقت الإمام علي (ع) لم تترك للإمام فرصة لتنظيم الدولة أو تحقيق برنامجه السياسي الطموح.

وبعد استشهاد الإمام علي (ع) انتقلت الخلافة لآل بني أمية وقد اتسمت سياسة معاوية مع أهل العراق بطابع تصفية الحسابات والاضطهاد وأخذ بعد اغتياله الإمام الحسن(ع) يتبع سياسة التفريق والتخويف والتهجير الجماعي لمن يشك في ولائه لبني أمية وحكومتهم، وهكذا بدأ خلفاء بنو أمية يولون على العراق ولاة معروفين بالقسوة والشدة وقد اشتهر من هؤلاء الولاة عبيد الله بن زياد الذي كان والياً على البصرة ثم ولاه يزيد على الكوفة بعد ثورة الإمام الحسين (ع) وقد ترك هذا آثاراً جسيمة في سيكولوجية المجتمع العراقي اتسمت بالخوف والرعب والشك والريبة والتفكك الاجتماعي والنفاق السياسي وقد ظهر ذلك واضحاً في واقعة الطف عندما قام الإمام الحسين (ع) ثورة ضد يزيد بن معاوية انتهت باستشهاده مع ثلة من آل بيته وأصحابه [٩].

توالت أعمال العنف كسابقة لم يعرف لها التاريخ الإسلامي من قبل كالرمي من فوق القصور للمعارضين والصلب على جذوع الأشجار ودخلت عليهم أيضاً على خط العنف هذا سياسة السلب وتجريد القتيل من ملابسه وخواتمه وهو من الأفعال التي كانت منافية لقيم الإسلام كما حصل في واقعة كربلاء عندما انتهت المعارك فأخذ جماعة ابن زياد وقواده وهم المتورطون الأساسيين في قتل الإمام الحسين (ع) وأبنائه في كربلاء فقاموا بقطع رأسه الشريف ورؤوس أصحابه وتعليقها على الرماح والسير بها إلى دمشق فأصبحت تلك المذبحة البشعة التي تركت في التاريخ الإسلامي بشكل عام وتاريخ أهل العراق صورة مخزية منافية لأبسط قيم الإنسانية والإسلامية وظلت مستهجنة إلى يومنا هذا [١٠].

إن الطريقة التي قتل بها الإمام الحسين عليه السلام والأسلوب الهمجي الهستيري الذي اتخذه أعداؤه تجاه شهداء كربلاء واتجاه الأسرى كان بحق من الأمور التي تركت آثارها في انهيار الدولة الأموية وظل بنو أمية طوال تأريخهم بدلاً من أن يتخذوا إجراءات لإصلاح الأمور استمروا بإرسال الولاة القساة إلى العراق الذين تابعوا طريق العنف مع أهل العراق [١١].

لم يكن لعنف كربلاء ولفداحة الموقف والخسائر الجسيمة أن تمر بدون ردود أفعال فكانت أن ظهرت عدة ثورات بما سمي تاريخيا ب"ثارات الحسين" ومن أشهرها ثورة المختار (المختار الثقفي) كان ما يمكن أن نطلق عليه ظهور العنف المضاد فاتخذ المختار وسائل وأساليب اتسمت بالعنف والقسوة ضد قتلة الإمام الحسين (ع) والذي يهمنا من هذه المقدمات أن ثقافة العنف التي بدأت منذ ذلك التأريخ وردود الأفعال المضاد لها كانت من مسؤولية بنو

أمية الذين كانوا لا يرعوون عن استخدام كل الوسائل في سبيل تدعيم ملكهم لذا فإن قضية الإمام الحسين (ع) ، لم تكن عابرة في التأريخ الإسلامي بشكل عام وتاريخ العراق بصورة خاصة بل إلى مجزرة كربلاء بكل مقدماتها ونتائجها وقسوتها ما هي إلا واحدة من الأحداث الدموية في تاريخ العراق تستحق وقفة من التفكير والتأمل والتبصر [١٢].

ولابد من الاشارة، لا يمكن دراسة تاريخ العراق بمعزل عن دراسة الولاة الذين تولوا عليه مثل عبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي شخصيات هي التي صنعت سايكولوجية الفرد العراقي فالحديث عن الحجاج حديث طويل يختلط فيه الأسطورة بالواقع من واقعة دخوله إلى العراق التي ترويها جميع المصادر التاريخية إذ بادر بإيصال أفكاره الدموية إلى أهل العراق ، وقد ذكرت بعض المصادر إلى أن الحجاج قتل ما يقارب من ١٢٠ ألف من العراقيين [١٣].

من جانب آخر واجه أهل العراق سياسة الحجاج بالتمرد و العنف ، وكان من أبرز تلك الأعمال (ثورة القراء) التي قادها عبد الرحمن بن الأشعث وكان فيها التابعي الجليل سعيد بن جبير [*]،إذ اتسمت بالتأييد الواسع من أهل الكوفة التي انتهت بقمعها من قبل الحجاج بالقوة والعنف المفرط إذ قتل قائدها عبد الرحمن بن الأشعث وسيق أصحابه إلى الإعدام وكان من أشهر من أعدم الشاعر المعروف (أعشى همدان) الذي أمر الحجاج بقطع رأسه ولم ينج من تلك الواقعة حتى الذين هربوا واختفوا كـ(سعيد بن جبير) الذي أمسك به الحجاج آخر أيامه وأمر بقطع رأسه[١٤].

استمر العنف في العراق طوال عصر بني أمية ، وبسقوط الدولة الأموية ومجيء العباسيين تنفس العراقيون الصعداء لاسيما إن العباسيين رفعوا شعار (الرضا من آل محمد) وكان العراق مركزاً لهذه الدولة التي اتخذ فيها العباسيين وسائل عنيفة ضد بني أمية حتى أنهم نبشوا قبور الأمويين وجلبوهم واتسم عصر العباسيين كذلك بنقض العهود والمواثيق ولم يحترموا عهداً مكتوباً أو سنة مشرفة وكانت بغداد اتخذت عاصمة لهذه الدولة وظلت منذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا عاصمة للعراق . كان أول خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح وكان شديداً قاسي القلب واتسم عصره بتثبيت دعائم الدولة والقضاء على المناوئين لها. ومما يجدر ذكره بأن العباسيين لم يتخلوا عن سياسة العنف واستمر الصراع على السلطة في العراق (ويذكر الأصفهاني في كتابه الأغاني) رواية مثيرة حول المجزرة الدموية التي أقامها السفاح لأمراء بني أمية بالأنبار حيث أبادهم عن بكرة أبيهم [١٥]. وهكذا افتتح بنو العباس عهدهم بالقسوة والعنف وعدم الرحمة وتطور الوضع إلى العنف بينهم كما حصل بين الأمين والمأمون إلى أن تدهورت الأوضاع في البلاد ، وضعفت السلطة ، وتحكم فيها الغرباء ، فآلت السلطة إلى حكم السلاجقة والبويهيين الذين كانوا يتحكمون بالخليفة فيعزلوه متى ما شاءوا [١٦].

كان عصر بني العباس من أطول عصور الدولة الإسلامية(١٣٢-٦٥٦هـ) وقد شهدت الدولة الإسلامية تطوراً واتسعت أطرافها وثقافتها وعلومها من جانب آخر تطور العنف والقسوة والشدة إذ شملت الجميع فلا عاصم من قسوة السلطة شيء وقد ظهر في عصر بني العباس العنف الطائفي إذ كانت بغداد مقسمة طائفياً وكانت جوامعها طائفية وكانت السلطات التي تتولى عليه تتخذ من الطائفة مرتكزاً أساسياً للحكم كما حصل للبويهيين الذين حكموا في القرن الرابع الهجري وقد اتخذوا المذهب السني ، وكانت محلات بغداد كما يشير عالم الاجتماع العراقي علي الوردي، تشهد معارك بين المحلات الشيعية والسنية وكان يسقط فيها الكثير من القتلى وتحرق المحلات وتنتهك حرمة المراقد المقدسة [١٧].

ثالثا : ظاهرة العنف بعد سقوط بغداد:

سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ وكان سقوطها من الأحداث العنيفة في التاريخ فقد كان الجيش المغولي يتصف بالهمجية والقسوة ويذكر المؤرخون أن (هولاكو) أرسل الى الخليفة المستعصم بالله يطلب منه التسليم وهدم سور بغداد فراوغه الخليفة إلا أن(هولاكو)هاجم بغداد وقتل

الخليفة واستبيحت بغداد وارتكبت فيها المجازر وتكاد أن تجمع المصادر على أن الوصف المأساوي للمدينة المنكوبة التي يتكرر عليها مشهد الدمار والخراب أكثر من مرة حتى أن المرء ليعجز عن وصف تلك الحقب المظلمة من تاريخ العراق في القرون الستة التي أعقبت احتلال هولاكو للعراق كانت قرونا دموية إلى الحد الذي يجعل الاختيار والانتقاء منها كنماذج أمرا صعبا وكما يشير أحد الباحثين أن العديد من الشواهد والأمثلة تؤكد تلازم العنف والقسوة والشراسة وترافقها مع جميع أحداث تلك الحقبة إذ بعد ذلك جاء الغزو الجلائري للعراق وظهرت شخصية تيمور لنك الذي أشاع الفوضى والعنف والمذابح أيضا . وفي عام ١٤١١م سقطت بغداد للمرة الرابعة على يد دولة الخروف الأسود(١٤٢٠م) والخروف الأبيض(١٤٧٠م)[١٨].

وتوالت الأيام المظلمة حتى أصبح العراق منطقة للعنف الدولي إذ انهارت " دولة الخروف الأبيض " على يد " إسماعيل الصفوي " و سقطت للمرة السادسة عام ١٥٠٨م وقد افتتح حكمه بمذبحة راح ضحيتها الآلاف من الأشخاص وهدمت قبور السنة ومنذ ذلك التأريخ دخل العراق في ساحة العنف الدموي بين الفرس والعثمانيين، إذ دخلت الدولتان في صراع زاد على الثلاثة قرون ومن هنا نشأ المثل العراقي (بين العجم والروم بلوة ابتلينا) [١٩].

واستمر العراق يتنقل بين السيطرات الأجنبية والعنف وأصبح ساحة لتصفية الحسابات بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية فكانت مذابح تتلوها مذابح حتى جاء عصر المماليك الذي خضع العراق لهم منتصف القرن الثامن عشر وحكم ثمانين عاما(١٧٥٠-١٨٣٠م)، وكان عصرهم عصر فوضى وتمرد وكانت بغداد غالبا ما تكون عرضة للدمار والقتل والتخريب واشتهرت أسماء مستبدة مثل (سليمان باشا أبو ليلة) وتسلط المماليك على بغداد والغريب أن أصلهم من جورجيا بلاد الشركس والداغستان وكانت الدولة العثمانية تجلبهم أطفال [٢٠]، كالانكشارية ويودعون في مدارس خاصة ، ومما يؤسف له في تاريخ العراق أن هؤلاء الأطفال الذين كبروا أخذوا زمام الأمور بأيديهم ، وسيطروا على مقدرات البلاد ، وكان استلام المماليك للحكم هو أحد مظاهر العجز في الدولة العثمانية وكانت أيامهم يتأرجح فيها العنف من خلال الصراعات التي كانت بين العثمانيين والإيرانيين والمماليك في صراع خفي فوق أرض العراق [٢١].

فرض المماليك سياسة قاسية على أهل العراق وكانوا يجبون الضرائب بصورة غير عادلة مما أدى إلى ترك الفلاحين لأراضيهم فتخلفت الزراعة وانهارت التجارة[٢٢].

استمر العنف في العراق بأحداثه الدموية وكانت العشائر غالبا ما تتدخل في ميدان هذا العنف وكانت هذه الأحداث يصحبها قحط شديد وحصار تفرضه قوى على أخرى وتشتد الأمراض مثل الكوليرا كما حصل في بغداد عام ١٨٤٦م حيث انتشر وباء الكوليرا في بغداد فساد الذعر والرعب بين الناس وانتشر السلب والنهب واللصوصية، وفي عام ١٨٦٩م تم تنصيب (مدحت باشا) واليا على بغداد الذي يعد من أفضل ولاة بغداد إذ تزخر الكتب بالمديح لهذا الوالي إلا أن عصره لم يخلو من العنف إذ فرض التجنيد الالزامي الذي حدا بأهالي بغداد بالتحرك بمظاهرة متحدين السلطة وقد صاحب ذلك عمليات نهب لمحلات اليهود والنصارى وكان مدحت باشا كثير الحزم والصرامة والعنف [٢٣].

لم تسلم الأقليات العراقية كـ (الكورد والصابئة والأيزديين) من العنف الذي كان هائلا واتسم بحرق قراهم وتهديم أضرحتهم ونهبها وقد لاقى الأيزيدين من ذلك الشيء الكثير [٢٤].

رابعاً : ظاهرة العنف في القرن العشرين:

دخل العراق إلى القرن العشرين والدولة العثمانية تنوء بأثقال هزائمها وترهلها فقد كان العراق يعيش الأمرين فالبصرة مثلا كانت تعيش حالة من الفوضى وفقدان الأمن فيشير الباحث علي الوردي (إنه ساد فيها قانون الغاب وأصبح هَمَّ الناس أن يحرسوا ممتلكاتهم بأنفسهم

ويدافعوا عن حياتهم بسلاحهم) [٢٥].

وفي كربلاء كانت الحكومة المحلية قد فرضت الضرائب الخاصة على الإيرانيين المقيمين بها فأحتج هؤلاء على القرار وتجمعوا قرب القنصلية البريطانية وافترشوا الشوارع واعتصموا وانتهت هذه القضية بأن فتح الجنود النار على المعتصمين وقتلوا سبعين شخصاً وجرحوا الكثير [٢٦]. استمرت أعمال العنف في العراق حتى الاحتلال البريطاني للبصرة عام ١٩١٤م، وقد صاحب عملية الاحتلال سلسلة من المعارك بدأت بهجوم الاسطول البريطاني على قلعة النار ومن ثم احتلال الفاو ولعل أشهر ما يمكن أن يؤشر للاحتلال البريطاني للعراق معركة الشعيبة التي تعد من المعارك القوية التي خسر فيها الإنكليز (١٢٠٠) عسكري ، وصحبها معركة الكوت وحصارها وبغض النظر عن الأسباب والدواعي فإننا نلاحظ أن نزيف الدم لم يتوقف فوق أرض العراق فقد استمر أهل العراق يتمردون على الاستعمار والاحتلال كما حصل في النجف في ٢٢ آيار ١٩١٥ الذي انتهى بالقمع الدموي وعصيان في كربلاء والحلة في ٢٧ حزيران ١٩١٥ [٢٧]حتى سقوط بغداد سنة ١٩١٧م إذ صاحب هذا السقوط انتشار عارم للفوضى إذ كسر السجناء السجون وانطلقوا إلى الأسواق والخانات ومحلات اليهود والنصارى وعاثوا فيها نهباً وتخريباً ، ويسجل الدكتور علي الوردي صور وملامح عن عمليات النهب والسلب إذ اشترك الأهالي وشبت الحرائق في دور لحكومة ونهبت محتوياتها[*]، وفي اليوم التالي صادف أن مرت قافلة من الجمال محملة في منطقة الكاظمية وهي ملتحقة بالقوات التركية المنسحبة من بغداد فهجم عليها الأهالي وطرحوا الجمال على الأرض وباشروا بتقطيعها بخناجرهم وسكاكينهم [٢٨].

خامساً : ظاهرة العنف بعد ثورة العشرين:

من الأحداث العنيفة ثورة العشرين وهي ثورة ذات طابع شعبي عشائري مدعومة من المرجعية الدينية في النجف وكانت ردود فعل لخيبة الآمال التي جوبهت بها الحركة الوطنية من قبل الإنكليز الذين لم يوفوا بعهودهم و اتسمت الثورة بالعنف وراح ضحيتها كثيرون [٢٩].

شكل البريطانيون حكومة جديدة رضوخاً للمطالب الوطنية وكانت برئاسة عبد الرحمن النقيب ، وجيء بفيصل الأول من الحجاز وبدأت منذ ذلك التأريخ الدولة العراقية الجديدة ، إن تشكيل هذه الدولة اتسم بصورة سريعة وفجائية فما أن وصل السير "برسي كوكس" المندوب السامي إلى بغداد وأعلن أنه قادم (لتشكيل حكومة وطنية بنظارة حكومة بريطانيا) وواضح أن الهدف هو لتحذير الثوار وحرف الثورة عن مسارها وتفكيكها[٣٠].

ولابد من الإشارة فإن الانكليز لم يجمعوا كل العراقيين في حكومة واحدة وبغض النظر عن الأسباب التي تعلل بها الغائبون كالشيعة الذين أصدروا فتاوى حرمت الالتحاق بالحكومة الجديدة وعدوها حكومة احتلال كافرة، أو تهميش الأكراد واستبعادهم فإن الدولة بدأت بداية أحادية الجانب [*].

ان المستعمر البريطاني كانت له علاقات قديمة تجارية واقتصادية وحركات التبشير ولاننسى شركة " لنج " ودورها السياسي والتبشيري للبريطانيين غير أن قيام النظام الملكي في العراق لم يغير من الأمور شيئاً فقد جاء هذا النظام بنخبة كما يسميهم حنا بطاطو(الملاك والبيروقراطيين الملاكين والمشايخ الملاكين وعائلات هؤلاء جميعاً) [٣١].

وقد ظهرت في العراق ما يمكن أن يسمى بأعلى درجات الظلم الاجتماعي ، اتجه البريطانيون إلى إشباع سياسة المعاهدات وفرضها بالقوة والضغط وفي بعض الأحيان الإذلال كما حصل في فرض معاهدة ١٩٣٠ هذا من جانب ومن جانب آخر أرخى البريطانيون للساسة العراقيين العنان إلى حد كبير على الحياة الداخلية في العراق وبذلك نشأت المشايخ الكبيرة التي كانت تفرض سياسات على الفلاحين تعود بالعراق إلى العصور الوسطى (*) وعلى الرغم من انتقال العراق من السيطرة

العثمانية إلى السيطرة البريطانية فإن الأوضاع لم تختلف عن سابقتها لاسيما إذا ما علمنا بأن البريطانيين كانت لهم علاقات قديمة مع العراق، ومن جانب آخر فإن الساحة السياسية ما كانت لتخلو من المؤامرات والدس السياسي وكان للبريطانيين دور كبير في ذلك حتى أنه يشار إلى أن انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ كان بتدبير وتنسيق بريطاني لإقصاء حكومة مهمة مثل حكومة ياسين الهاشمي الذي بدأت بوادر تمرده على البريطانيين ، فقد شهد صباح يوم ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ تغيير الحكومة في بغداد وإغراق البلاد في فوضى . وقد دشن هذا الانقلاب سلطة الانقلابات التي توالت على العراق والاغتيالات ولعل أشهرها الاغتيال الكبير الذي تعرض له جعفر العسكري مؤسس الجيش العراقي وصهر نوري السعيد، وقد أدى هذا الانقلاب إلى حصول موجات عنف واعتقالات راح ضحيتها الكثير من العراقيين.

وقد هذا الحادثة غادر البلاد شخصيات مهمة خوفاً على نفسها وقد توج هذا الانقلاب فيما بعد باغتيال بكر صدقي ومعه آمر القوة الجوية في مطار الموصل يوم ١١ آب ١٩٣٧ إذ كان يستعد للطيران إلى تركيا في زيارة رسمية [٣٢].

كان عقد الثلاثينيات قد شهد أيضاً حادثة مهمة وهي مقتل الملك غازي في ٤ نيسان ١٩٣٩ وكان حادثاً مروعاً وظروفه غامضة وكان الكثير من المعاصرين للحدث قد أشاروا إلى أن الملك غازي قد اغتيل بمحاولة سياسية مدبرة [٣٣]. وقد أتاحت إزاحة الملك الشاب من الواجهة السياسية فرصة تاريخية لظهور شخصية مهمة خطيرة تركت بصمات من العنف والقسوة في تاريخ العراق المعاصر ألا وهو صعود نجم الوصي عبد الإله [*].

لم يلبث أن تدهور الوضع السياسي في العراق وقد كان لأجواء الحرب العالمية الثانية التي خيمت على منطقة الشرق الأوسط لاسيما العراق ووقوعه في دائرة الصراع الدولي والولاءات ، في هذه المدة قد انقسموا إلى فريقين ، فريقٌ يوالي بريطانيا وسياستها في العراق التي تذهب إلى جعل العراق بعداً لوجستياً وخادما للمجهود الحربي البريطاني والابتعاد عن تسليح الجيش العراقي وتأجيل المطالبة القومية وفي مقدمتها فلسطين وهي قضية كانت ملحمة في الشارع السياسي آنذاك ، وفريق آخر يرى أن التسليم بهذه المطالب البريطانية تضيع وتخلي عن الأسباب المباشرة لقيام ثورة الحسين بن علي ضد العثمانيين عام ١٩١٦.

إن هذه الأمور مهدت إلى الانقلاب الشهير (حركة مايس ١٩٤١) بقيادة رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب و إنشاء ما عرف تاريخيا بحكومة (الدفاع الوطني) برئاسة رشيد عالي الكيلاني ، ما لبث أن اختفى الوصي عن الأنظار [٣٤] . كان رد الفعل البريطاني عنيفاً إذ اندلعت معركة بين الجيش البريطاني والجيش العراقي إذ استطاع الجيش العراقي تدمير طائرات بريطانية لكن تغيرت الأمور بعد استقدام البريطانيين تعزيزات من مصر والهند إذ دمرت القوة الجوية العراقية وتكبد الانقلابيون خسائر جسيمة خلال معارك دامت أكثر من شهر [٣٥].

وقد عمت الفوضى العراق كالعادة و اندفع الطائشون والغوغاء إلى عمليات نهب وسلب واسعة و لم يبقى محل أو متجر إلا ونهب وانتشرت الحرائق في بغداد وقد نالها قسطاً كثيراً من هذه الأعمال التي عرفت محلياً عند العامة بسنة (الفرهود).

فشلت ثورة مايس ١٩٤١وهرب قادتها خارج العراق ووقف الجيش البريطاني على مشارف بغداد وتهيأ أنصار عبد الاله لاستقباله يوم ١٠ حزيران قادماً من الحبانية حيث القاعدة البريطانية الضخمة ، كان الجو النفسي مشحوناً وكانت بغداد بلا حكومة وكان مجيء الوصي بهذه الطريقة مدعوماً من البريطانيين مثيراً لاستفزاز الناس [٣٦].

وقد قامت السلطات باتخاذ سلسلة من الإجراءات العنيفة إذ أعدم قادة الانقلاب وكان لموقف الوصي عبد الإله من عملية الإعدام وتواجده في غرفة الإعدام مما أجج الكراهية ضد

نظام الأسرة الهاشمية التي حكمت العراق ، ويرى باقر ياسين أنه (ربما كانت هذه الأحداث الدامية والإعدامات في صفوف الضباط هي السبب في ظهور النزعة الدموية البالغة العنف في الثورة العسكرية التي قامت في عام ١٩٥٨ ضد الملكية وأطاحت بالعائلة المالكة في العراق[٣٧].

ولدّت هذه الأحداث عمليات متناقضة من قبل معارضي العهد الملكي وسياسة مفرطة في القسوة من قبل السلطات مما أدى ذلك إلى الأحداث الدموية حينها وهذه الإحداث عرفت تاريخيا بوثبة ١٩٤٨ فقد تفجرت المظاهرات الاحتجاجية ضد معاهدة "بورتسموث " التي عقدت بين العراق وبريطانيا وكان العنف الذي مارسته الدولة في ذلك الوقت عنيفاً ضد جموع الطلاب وعامة الناس وكان المتظاهرون غاضبين جداً ورفضوا الانصياع لقسوة رجال الشرطة ويذكر هنا " حنا بطاطو" أن رجال الشرطة فقدوا السيطرة على المتظاهرين وتراجعوا أمام زحفهم وكان بانتظارهم هناك فصيل مدرع فتح النار على المتظاهرين الذين بدوا مصرين على عبور الجسر على الرغم من القتلى والجرحى ولم يسلم من عبور الجسر متظاهر واحدٌ إلا فتاة في الخامسة عشر تدعى عدوية الفلكي كانت تحمل راية وتتقدم الصفوف أما رفاقها الأربعة الذين كانوا معها فقد سقطوا ، لذا سميت بمذبحة الجسر [٣٨].

سادساً : ظاهرة العنف بعد ثورة ١٤ تموز١٩٥٨:

كانت الأوضاع قد تأزمت في الحقبة التي سبقت ثورة ١٩٥٨ في المجالات كافة وكان من الطبيعي أن تكون الأحداث الماضية والانتفاضات والدماء التي سالت أن تتصدر واجهة الأحداث بعد بروز الصراع الدولي وضم العراق إلى (حلف بغداد) ، فجاءت ثورة ١٤ تموز لتمثل وجهاً آخراً وليس جديداً من العنف والتخريب والتدمير الشامل في هذا البلد المحكو ١٩٥٨م بمثل هذه الأحداث [٣٩].

إن الأحداث التي اندلعت صبيحة ١٤ تموز كانت تمثل ذروة العنف العراقي والتخريب الذي طال البنى التحتية للدولة ومؤسساتها ويذهب المحللون والباحثون إلى أن الفرد العراقي الذي يخنع ويخضع للسلطة كثيراً يكون رد فعله عنيفاً حال ما تنهار هذه السلطة ، فأخذت الجماهير الهائجة تقوم بعمليات النهب والسلب لممتلكات الدولة ومنازل المسئولين الحكوميين غير أن الوجه الأساس لهذا العنف تمثلت بسياسة قادة الثورة أنفسهم الذين أرخو العنان وأطلقوا أيدي الثوار لعمليات القتل والسحب في الشوارع وتدمير العائلة المالكة(*) .

وبمجرد أن نلقي نظرة على ما كتبه المؤرخون عن تلك الأحداث وما قامت به الجماهير في ذلك اليوم إذ أقدمت على سحل جثة " الوصي عبد الإله" في شوارع بغداد التي أخذت تسحل من مكان إلى آخر وعلقت على أعمدة الكهرباء ثم تنزل هذه الجثة لتسحب من جديد وفي الطريق تبدأ الجثة بالتناقص وتبقر بطنه وتستخرج أمعاءه ومن ثم تحرق ويرمى ما تبقى منها في نهر دجلة [٤٠].

هذه الصورة المأساوية التي ينأى كل عراقي شريف بنفسه عن التحدث عنها ما هي إلا درجة من التراكم النفسي والإحساس بالاضطهاد والذي انفجر بصورة عنف مضاد صبيحة ذلك اليوم أما الملك الشاب فيصل الثاني فقد قتل مع عماته بدم الثورة وظل الثوار وقادتها يبحثون عن نوري السعيد وقضية اكتشافه وقتله من الأمور المأساوية والمثيرة إذ اختفى أولاً في منزل الاسترآبادي في الكاظمية ثم ارتدى عباءة نسائية وخرج إلا أن أحد الأشخاص لاحظ بجامته من أسفل العباءة فقتلوه قتلة بشعة وأخذوا يقذفون الجثة بالحجارة [٤١].

استمرت عمليات القتل والعنف والتخريب وأخذ الفلاحون يستولون على أراضي وممتلكات شيوخهم حتى تشكلت محكمة الثورة برئاسة " فاضل المهداوي " ولعل قراءة بسيطة لمحاضر جلساتها وهي مطبوعة تنقل لنا صورة المستوى الذي كانت تدار به المحكمة والطريقة التي عومل بها قادة العهد البائد .

استمر العنف يلاحق قادة الثورة أنفسهم فقد تبادل الثوار الاتهامات بالخيانة وقتل بعضهم البعض الآخر .فحصل رد فعل عنيف حتى سميت هذه السنين بالسنين المجنونة من ١٩٥٨-١٩٦٨. إذ انقسم الشارع العراقي إلى جهات وتيارات فظهر القوميون و الشيوعيون وبدأت أعمال العنف تتصاعد على نحو واسع (٤٢).

ويروي لنا بعض المؤرخون شواهد عن الاحداث السالفة الذكر ، اذ يذكر شاهدا على الإحداث كان حاضرا وهو أحد ضباط الحرس الملكي " الدكتور فالح حنضل" يقول بهذه الكلمات (وكان لتشغيل طاحون الموت في العراق صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ على الشكل الذي تم فيه تشغيل هذا الطاحون لم يلتهم المغامرين الطامحين في الحكم والسيطرة والنفوذ فحسب وأنما آلتهم أبناء الشعب العراقي من اقصاه إلى أدناه وظهرت في العراق مجازر رهيبة لم يعهدها تأريخه بكل ما حمل هذا التأريخ من مآسي القتل والفوضى في الموصل وكركوك عام ١٩٥٩ حدثت مجازر دموية يندى لها الجبين الإنساني .... إلا أنه يقول في ٩ شباط ١٩٦٣ بقيادة زعيم الثورة وبطانته إلى مبنى الاذاعة في بغداد فيقتلهم زملاؤهم ويواري " عبد الكريم قاسم " التراب في احدى المزارع القريبة من بغداد سرا الا ان حارس المزرعة اكتشف ان عددا من الكلاب قد نبشت حفرة وراحت تنهش جثة انسان وتاكل من لحمها، وذهل الحارس عندما تعرف على جثة عبد الكريم قاسم فاخبر الفلاحين في القرية المجاورة واللذين سرعان ما اختطفوا الجثة المنهوشة من الكلاب واخفوها في تابوت لكي تدفن، واكتشفت المخابرات أمر التابوت وفتح ثانية وألقي بالجثة في نهر دجلة حيث ابتلعتها الأسماك) (٤٣).

غرقت البلاد في فوضى من جديد واتبع الانقلابيون البعثيون سياسة تصفية أعدائهم السابقين فنكلوا بهم تنكيلا لم يشهد له تاريخ العراق من قبل وهذه الحقبة التي سميت تاريخيا بحقبة الحرس القومي من أشد حقب التاريخ العراقي رعبا ودمارا وانتهاكا للأعراض ومصادرة لحقوق الانسان وقيمه (٤٤).

لم تدم هذه الحقبة كثيرا فقد استطاع عبد السلام عارف بانقلاب تشرين ١٩٦٣، الزج برؤوس البعثيين الكبار بالسجون وبدأ البلد يشهد استقرارا نسبيا ما لبث أن انهار هذا الاستقرار صبيحة يوم ١٧ تموز ١٩٦٨.

سابعآ : ظاهرة العنف بعد عام ١٩٦٨:

عادت السجون البعثية إلى فتح أبوابها من جديد وعادت المعتقلات تزخر بالأبرياء والمتورطين وجاء البعثيون هذه المرة متجاوزين أخطاءهم السابقة عاقدين العزم على اجتثاث وعزل وابعاد واقصاء كل من لا يسير على خطاهم وتشير معظم الدراسات أن الحكم الدكتاتوري للعراق بدأ بصورة فعلية منذ عام ١٩٦٨ على يد حزب البعث وكان هذا الحزب بطبيعة الحال يحكم العراق ظاهريا إلا أن النفوذ الحقيقي والحكم الفعلي كان لمجموعة صغيرة من الأفراد وكانوا على صلة بـ (صدام) (٤٥).

وعلى الرغم من التطور الاقتصادي الذي شهده العراق منذ عام ١٩٦٨، بوجه من وجوهه نتيجة حتمية للتطور الهائل في عائدات النفط والتي أتاحت للبعثيين بناء نهضة صناعية واستقدام تكنولوجيا متطورة إلى أن الهاجس البعثي أو ما كان يدور في تفكير صدام وبطانته من الخوف من الأعداء الحقيقين والمحتملين، فإن هذا الهاجس الأمني قد سوغ وبرر لإجراءات بوليسية استثنائية لحماية النظام من السقوط حتى أن ذلك تجسد على شكل نظم وقوانين وشعارات تتحرك باتجاه حماية الانفراد البعثي في السلطة (*). استطاع صدام حسين وخليته الدموية أن يحكموا العراق حكما دمويا مرعبا ومن الممكن أن نقسم ذلك على اتجاهين :

أولا: تصفية خصومه السياسيين في حزب البعث .

ثانيا: تصفية خصومه السياسيين من بقية التيارات وعامة الشعب.

فيما يخص سيطرة صدام على المنظومة البعثية فإن دراسة ذلك الموضوع تعتمد بالدرجة الأساس قراءة معمقة لشخصية صدام وتركيبته الاجتماعية وانحداره الطبقي ، يعد من السياسيين الذين صعدوا إلى كرسي الحكم بصورة سريعة وفجائية فأغلب من عاصروه من قيادي البعث الكبار أكدوا أنه لم يكن له دور حتى في انقلاب ١٩٦٨ ، لكن (حنا بطاطوا) يشير إلى أن البكر هو الذي مهد لصعود صدام حسين إذ كان يستعين به في اقصاء الخصوم ولأنه – صدام – لم يكن ليوقفه شيء أو تعوزه أي وسيلة فإن البكر استطاع أن يجد فيه الرجل المناسب الذي يدعم سيطرته على هرم السلطة (٤٦).

استطاع صدام أن يجمع حوله طائفة مجهولة من بقايا الحرس القومي أمثال ، " لطيف نصيف جاسم وعلي حسن المجيد وطه الجزراوي " الذي عقد معهم صفقة الانقلاب على البكر عام ١٩٧٩، وما جرى من أحداث دامية حيث افتعل قضية التآمر المزعومة مع سوريا التي أدت إلى سلسلة من الإعدامات إذ أعدم عبد الخالق السامرائي وكذلك سعدون غيدان ومحمد محجوب ، ومحمد عايش وعدنان الحمداني وهم قياديون سبقوا صدام وكان بالنسبة لهم نكرة لا تذكر (٤٧).

بعد هذه التصفية اتجه صدام إلى المعارضين من التيارات الأخرى وكانت المعارضة العراقية معارضة واسعة ومتعددة وقوية إذ كانت المعارضة الإسلامية متمثلة "بحزب الدعوة الإسلامية ومنظمة العمل الإسلامي والحزب الإسلامي " وكانت المعارضة اليسارية متمثلة بالحزب الشيوعي بشقيه وكانت المعارضة الكردية بقيادة الملا مصطفى البرزاني(٤٨).

حاول صدام أن يضرب كل قوى المعارضة وكانت حقبة السبعينيات حقبة مهمة بالنسبة للتطورات السياسية إلا أن دخول الحرب مع إيران استطاع أن يجمد الصراع الداخلي لصالحه وأن يزج كبار السياسيين في السجون والمنافي وأن يضرب بقوة وعنف وكان أعلى درجاتها إعدام المفكر الإسلامي الكبير ((السيد الشهيد محمد باقر الصدر وأخته الشهيدة بنت الهدى)) في ٨/٤/ ١٩٨٠ (٤٩).

ثامناً : ظاهرة العنف بعد عام ١٩٨٠:

منذ اندلاع الحرب فرض صدام سيطرة تامة على العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتغلغل حزب البعث بخلاياه الأمنية في كل مفاصل الحياة حتى وصلت الأمور إلى عبادة الفرد الواحد وهذا الموضوع بحاجة إلى دراسة منفصلة، فعملية تمذهب الدولة التي يشير إليها " حسن العلوي" ، وإقصاء الأكثرية واستخدام العنف ضد المفكرين والمثقفين حتى غصت بهم السجون والمنافي، فأي بلد في العالم يضحي بأكبر شعراء العالم كالجواهري الكبير ومظفر النواب، والمفكر أحمد الوائلي ومصطفى جمال الدين وكاظم السماوي وهادي العلوي وعلي الشوك وغائب طعمة فرحان ومحمد صبري ، ومؤلفات عظيمة مثل مؤلفات السيد الشهيد الصدر والسيد الخوئي والسيد الحكيم (٥٠).

أن الدولة التي حكمها صدام كانت تخضع لتنظير مفكرين اثنين هما " الحصري و عفلق " ، والملاحظ أنهما لا ينتميان إلى العراق لا قلباً ولا قالباً ولا عقيدة ولا قومية ولا فكر ولا ممارسة وأن الفكر جاءا به منذ تأسيس الدولة وحتى الخمسينيات وهي المدة التي برز بها ساطع الحصري وتكفل عفلق بهذه المدة حتى سقوط النظام الدكتاتوري ، إن هذا الفكر الذي يبدأ من رياض الأطفال وحتى أعقد المؤسسات تنظيراً وتفكيراً في الدولة كان عبارة عن نماذج هجينة من الاستشراق والأفكار التبشيرية منظومة بقيم قومية استطاع عفلق أن يعد صدام ليكون يداً ضاربة لحماية هذا الفكر (٥١).

كلاهما يعتمد ثقافة لا صلة لها بالتراث العربي الإسلامي بسبب نشأة كل منهما، ولم ينجذبا نحو تراث الشعب العراقي فالحصري بحكم نشأته التركية ونزعته البيروقراطية كان غريباً عن حياة الشعب، أما عفلق فكان مشرباً بالثقافة الفرنسية وكان مسيحياً مارونياً لم يستطع أن يكون قريباً من الثقافة الإسلامية (٥٢).

عاش الشعب العراقي أيام الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ ، مستسلماً لقدره وهو يرسل أبناءه إلى المقابر بصورة هادئة وكان النظام يفرض على الشعب المزيد من الخضوع والتسليم ، بعد أن انهكت الحرب الاقتصاد فرض النظام على الشعب التبرع دعماً للمجهود الحربي وبشكل قسري إلى أن انتهت في ١٩٨٨/٨/٨ بلا منتصر .

وكان صدام يشير لنفسه منتصراً مجرد بقائه في السلطة إلا أنه لم يتخذ الاجراءات التي كانت تتخذها الدول عندما تخرج من الحرب كرفع آثار الحرب وتسريح الجيش والسعي لبناء اقتصاد جيد وتحسين العلاقات مع دول الجوار بل على العكس فوجيء العراقيين بشعارات على الجدران معلقة تقول (عرق التدريب يقلل من دماء المعركة) واستمر النظام بعملية التسليح والاغراق بالديون حيث قدرت ديون دول الخليج بـ (٨ مليار دولار أمريكي) [٥٣].

والعنف الذي مارسه نظام صدام لا يوجد له مثيل في التاريخ إذ مارس سلسلة من أعمال العنف والارهاب ويكفي الإشارة إلى الأحداث المركزية في سيرة الدكتاتور منها قصف حلبجة عام ١٩٨٨ حيث راح ضحيتها ما لا يقل عن ١٨٠ ألف شخص وهي ما عرفت بـ (حملة الأنفال) [٥٤].

تاسعا : ظاهرة العنف بعد عام ١٩٩١:

ان الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وما جرى فيها من قمع وتدمير التي كان من أكبر صورها المقابر الجماعية التي سودت وجه النظام وإلى الأبد فبعد أن صدر إرهابه إلى الكويت صبيحة يوم ٢ آب ١٩٩٠ وممارسة عمليات القتل والعنف وتشريد الناس الآمنين انقض على شعبه بعد أحداث ١٥ شعبان ١٩٩١ وتشير بعض الوثائق التي عثر عليها في محافظة كربلاء على إعدام ٤١٤ من أبناء المدينة [٥٥].

وتشير إحصاءات أولية إلى أن النظام بعد سقوطه ترك خلفه مسرح من المقابر الجماعية قدر عددها ٢٦٣ مقبرة في أنحاء العراق [٥٦].وإحصائية أخرى أن المفقودين الذين لم يعثر لهم على رفاة بلغ مليون وثلاثمائة ألف شخص [٥٧].

انتهت الانتفاضة وعاد النظام يحكم بسيطرة مطلقة وعنف لم يعهده من قبل إلا أن الشعب العراقي دخل منذ عام ١٩٩١ في نفق مظلم ألا وهو الحصار الذي استمر ١٣ سنة مورست فيه أبشع أنواع الاضطهاد وتغيرت به قيم اجتماعية راسخة عند الشعب العراقي وتفككت به الأسر وشردت العوائل وانتهكت الحرمات حتى أن العراق أصبح بلاد الجحيم وأصبح الخروج منه حلم يراود الجميع [٥٨] .

إن سنوات الحصار أثبتت أن نظام صدام لا نهاية لإجرامه ودب اليأس والقنوط في نفوس أبناء الشعب العراقي ، من جانب آخر فإن النظام كان سادراً في غيه ولم يدخر سبيلاً ولا وسيلة لغرض أحكامه بالقوة ، فعسكرة الحياة كانت مستمرة وبأساليب عنيفة وعمليات عنيفة وعمليات التسليح الوهمي والتوسع الأفقي لحزب البعث كانت تسير بوتيرة متصاعدة وكانت الخدمة العسكرية تفرض على الشعب بطريقة غريبة .

كان الوضع الاقتصادي في تدهور مستمر والناس تعاني من ذلك حتى وصلت الأمور أن الفرد العراقي يعيش بدولارين في الشهر [٥٩]. وكانت الأجهزة الأمنية تمارس وسائل وأساليب للتجسس والسيطرة وتشخيص أي تحرك أو معارضة ضد النظام .

عاشرا : ظاهرة العنف بعد عام ٢٠٠٣:

أولاً: الاحتلال الأمريكي للعراق و التدخلات الإقليمية في الشأن العراقي:

إن احتلال أي بلاد لابد أن يؤدي إلى استخدام العنف والعنف المقابل وظهور نظريات المقاومة بتعدد مرجعياتها واختلاف أساليبها ولم يخلو دخول القوات الأجنبية للعراق من هذا المنطق على الرغم من إتباع الولايات المتحدة الأمريكية المبررات السياسية والقانونية التي لم

تجد قدرا كبيرا من القبول أو الموضوعية مما أدى إلى انقسام الشرعية الدولية إلى رافض ومؤيد إلى الحد الذي جعل البعض يسميه حفظاً للأمن والسلم الدوليين والأخر يسميه انتهاكا لهما ، فضلاً عما رافق هذا الدخول من استخدام مفرط للقوة أدى إلى تدمير البنى التحتية للعراق.

فقد كان هذا الاحتلال بالغ البشاعة مما أسفر عنه من خراب ودمار داخل المجتمع العراقي إذ أدى هذا الاحتلال إلى انهيار مؤسسات الدولة وتفكيك المجتمع العراقي الذي عانى من ويلات ثلاث حروب وحصار قاس دام اثنتي عشرة سنة[٦٠].

فلم يكن الاحتلال للعراق سببا لسقوط نظام الحكم فحسب وإنما سقطت كل منظومة الدولة العراقية[٦١].وما رافقه من فراغ وتعويم للسيادة الوطنية وضياع الاستقلال الوطني وغياب الأجهزة العسكرية والأمنية ومؤسسات الدولة الأخرى[٦٢] مما اسهم في انتشار عمليات السلب والنهب والتجاوز على ممتلكات الدولة والموطنين وشملت هذه العمليات تخريب جميع مرافق مؤسسات الدولة مما جعل العراق يعاني من مشكلة انعدام الكثير من الخدمات الإنسانية كما طالت عمليات السلب والنهب حضارة العراق وتراثه إذ اختفت قطع أثرية لا تقدر بثمن ووصل عدد القطع الأثرية المهربة من المتحف العراقي ومتحف الموصل ومتاحف المحافظات الجنوبية أكثر من (٢٠٠٠٠٠) قطعة[٦٣].

ولم تقتصر هذه العمليات على السلب والنهب فحسب بل أعقبتها عمليات حرق لتلك ألاماكن والمؤسسات ولم يجد كل من تابع هذه الأعمال إلا القول إن هناك بعض الجهات المستفيدة من كل تلك العمليات التي على ما يبدو إنها أكثر من عمليات سرقة عادية[٦٤].

ولاسيما إن اغلب عمليات السلب والحرق تمت بمساعدة قوات التحالف نفسها التي كانت تقف موقف المتفرج على هذه العمليات التخريبية[٦٥] التي سعت من خلالها إلى هدم الحالة النفسية للمواطن العراقي فقد جاء على لسان قائد الجو الأمريكي "مايكل دوغان" في قوله (من المهم استهداف ما هو فريد من الحضارة العراقية وما يعدونه ذا قيمة كبيرة جدا ومن المهم معرفة ما هو الشيء الذي يترك أثرا نفسيا على الشعب واستهدافه)[٦٦].

ومما تجدر الإشارة إليه فقد سيطر الذهول واليأس والإحباط على الشعب العراقي وهو يرى حالة التخريب والدمار وأثار الحرائق شاخصة أمامه ولا ريب في إن اغلب الخسائر من جراء الاحتلال قد أصابت الفرد العراقي من قتل وجرح وتشريد.

وقد ادخل الاحتلال الأمريكي البريطاني ومن لفّ لفهم المجتمع العراقي برمته في نمط جديد ومتشابك من العلاقات الداخلية ، قد لا تكون مألوفة في التاريخ الاجتماعي الحديث للبلاد من حيث شدة تناقضاته وموضوعاته الصراعية حيث عمل الاحتلال فضلا عن الإطاحة بنظام الحكم في العراق على انهيار العقد الاجتماعي القديم الذي قام عليه المجتمع العراقي وحدث تخلخل بنيوي في أسس التعايش التاريخي بين الطوائف والمذاهب والقوميات[٦٧]، مما أحدث فجوة كبيرة في مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي ككل.الأمر الذي أدى إلى تعاظم الميول للصراع والتنازع لدى الجماعات وتنامي إمكانية الصدام [*]، وذلك عن طريق تغذية الاحتلال للطائفية والقومية وترسيخها وتفكيك عراها وتكريس علاقاتها العنصرية والطائفية والأثنية والعشائرية[٦٨] و إدخال العراق على حافة الحرب الأهلية وإغراقه في هذه الدوامة تلبية لمصالحه الخاصة.

فضلاً عن قيام قوات الاحتلال الأمريكي بعدد من الأعمال الاستفزازية التي عملت على استفزاز مشاعر العراقيين ومنها:

١- قيام قوات الاحتلال بعمليات اعتقال لأعداد غفيرة من المواطنين وزجهم في السجون اشتباها بهم دون أي أدلة أو ذنب يذكر.
٢- قيام قوات الاحتلال باقتحام الأماكن المقدسة من مساجد وحسينيات .

٣- تهديم العديد من المنازل الآمنة وتدميرها في اغلب المدن العراقية ومن دون تعويضات تذكر.
٤- اعتقال عدد من رجال الدين والشخصيات الاجتماعية البارزة في العراق وتهديدهم.
٥- السلوك الاستفزازي لعربات وآليات وجنود الاحتلال في الشارع العراقي[٦٩].

تلك الأعمال اسهمت وشجعت على زيادة مشاعر الغضب والعنف ضد قوات الاحتلال وتوليد حالات من الغضب الشعبي.

إن دخول القوات العسكرية وما تحمله هذه الجيوش من ثقافة بلدهم داخل المجتمع العراقي ومعهم باقي جيوش الدول الأجنبية المشاركة مع القوات الأمريكية أوجد نوعا من الصراع الثقافي بين الثقافة الغربية التي تحملها القوات العسكرية والثقافة العراقية التي يحملها الشعب العراقي لاسيما وان العراق عاش ٣٥ سنة من الانغلاق والتقوقع الداخلي من خلال منع السلطة السابقة لجميع أنواع التواصل الثقافي داخل المجتمع العراقي من صحافة وبث فضائي (ستلايت والانترنيت) ومن ثم أوجد نوعا من الصراع الثقافي الذي تكمن سماته في الجهل بفلسفة التنوع القائم على الاختلاف الذاتي بين ما هو فكري أو عرقي أو ذوقي.وفرض ثقافة ضد ثقافة أخرى بما لا يحترم الخصوصيات الثقافية للمجتمع العراقي وإقصاءه وإلغاءه، ومن ثم فقد تتحول بعض أشكال الممانعة الثقافية والحضارية التي تبديها الكثير من الحضارات العربية ومنها الحضارة العراقية بوجه الحضارة الغربية إلى مواجهة حقيقية مع ما يمكن أن تحمله تلك المواجهة من أحداث مزيد من الشروخ والفجوات بينهما بسبب إصرار الحضارة المستهدفة في خصوصيتها ووجودها في الدفاع عن كينونتها وعن مشروعية اختلافها و تنوعها بعيدا عن أشكال الهيمنة والتبعية[٧٠].

هذا الخوف المشروع على خصوصية الثقافة والحضارة العراقية صعد من وتائر التوتر والتأزم الذي ترجم في أحيان كثيرة على شكل عنف دموي[٧١].

أما من جانب التدخلات الإقليمية في الشأن العراقي، فقد أدى انفتاح الحدود دون رقيب إلى تكثيف التفاعل بين المجتمع العراقي وجيرانه ، فجيران العراق لهم مصالح ويتدخلون من خلال حكوماتهم أو القوى غير الرسمية في بلدانهم ، أو أصحاب الأعمال التجارية أو المجتمع المدني أو المتمرسين في عالم الجريمة .

تمتلك الأطراف الإقليمية ولاسيما بلدان الجوار وغيرها من الدول أجندات متعارضة حول مستقبل العراق وتتداخل هذه مع القلق حيال نوايا الأجندة الأمريكية في الشرق الأوسط وحيال التطورات الداخلية في هذه البلدان ذاتها[٧٢].

وجراء ذلك فقد تدفقت الأموال والأسلحة والمتطوعون وازدهرت التدخلات المخابراتية من الحكومات الإقليمية ، الى جانب السلع المستوردة أو المهربة عبر تلك الحدود المهلهلة فضلاً عن الدعم السوري والإيراني للمتطوعين ومهربي الأسلحة فهؤلاء يتلقون الدعم أيضا من الشبكات الإقليمية التابعة للمجموعات الإسلامية والسلفية على وجه التحديد ، إذ تقوم هذه الشبكات بتزويدهم بالتدريب والخبرة في مجال الهجمات بالسيارات المفخخة، أما المتطوعون العرب من السعوديين واليمنيين والكويتيين والفلسطينيين والسوريين فيسهمون في العنف المسلح ، وهذا ما تؤكده الاعتقالات على الحدود خارج وداخل العراق.

كما إن التفاعل عبر الحدود ينشط ويتوسع بفعل الشبكات القبلية العابرة للأوطان وهذه الشبكات تسهل حركة المتمردين وقد تنتقل من هدف إلى آخر[٧٣].

وبشكل عام فأن الرأي العام العراقي عموماً ينظر إلى تدفق الأسلحة والمتطوعين بشكل سلبي معتبراً إن ما يجري محاولة لتصفية الحسابات مع الولايات المتحدة على حساب العراقيين .

الاستنتاجات

١ – ظاهرة العنف في العراق القديم كانت ظاهرة ترافق المجتمعات العراقية وفي مختلف الازمنه حيث كانت جميع المدن تتعرض لهجمات وغزوات على مدار الايام .

٢ – اصبح العراق ساحه حرب وتصفيه حسابات سابقه خاصه بعد ظهور الاسلام . ومن هنا حيث لابد الى الاشاره الى ان الشخصيات التي حكمت العراق والولاة الذين تولوا ولاية العراق انذاك هي التي صنعت سايكولوجية الفرد العراقي التي اتسمت بالعنف والقسوة

٣ – كانت للعشائر العراقية دوراً بارزاً في ميدان هذا العنف فمن جهة تحاول تهدئة الاوضاع المتأزمه التي قد تنشأ نتيجة الصراعات الداخليه ومن جهة اخرى تحاول اشعال فتيلة الفتنة بين عشائر وافخاذ داخلية

٤ – اما ظاهرة العنف بعد ثورة العشرين تحديداً فقد اتجه البريطانيون الى فرض العقوبات والحكم بحد السيف مما اضطر الى تدهورات سياسية واقتصادية تسببت في انتشار الفوضى وعم السلب وانتشرت عمليات العنف والتي عرفت محلياً عند العامه (الفرهود)

٥ – بمجرد ان نلقي نظرة على ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وما كتب المؤرخون عنها نرصد اهم اعمال العنف التي اقدمت فيها بعض الجهات الى سحل الجثث من مكان الى مكان اخر والتعليق على اعمدة الكهرباء . ماهي هذه الا نتيجة التراكم النفسي والاحساس بالاضطهاد والذي تفجر بصورة عنف مضاد

٦ – اما ظاهرة العنف بين اعوام ١٩٨٠-١٩٩١ فقد كانت عباره عن عمليات قتل وعنف وتشريد والمقابر الجماعيه حيث شهد فيها العراق عنف لم يعهده من قبل . حيث كانت سنوات الحصار لها الاثر البالغ في نفسية الشخص العراقي

٧ – واخر ما توصل اليه البحث بشكل عام فأن التفاعل عبر الحدود ينشق ويوسع حركة المتمردين والمجاميع الارهابيه التي كانت تمارس ابشع الوسائل الارهابيه مما لها اثر في انتشار ظاهرة العنف وتأثيرها بشكل مباشر على الشخصية العراقيه .

Abstract

Anthropology of Violence In the old and modern Iraqi society
"Anthero-Historic Experience"
By Zainab Mohammed Saleh

Iraq has witnessed the bloodiest conflicts in its long history . these conflicts have been accompanied by acts of murder bloodshed, displacement, burning of cities , destruction of crops, destruction of economic structures and social imbalances . widows have proliferated and the number of orphans has increased . this has led us to say that cruelty has become a trait of Iraqi behavior . it is necessary to discuss the reasons that led to the spread of violence in Iraqi society over its long history. Iraq has been continues to enjoy an important geographical location which is the land where different civilizations meet and which is the link between different societies the researcher will address the antiquity historical and chronological attempt from ancient Iraq to the emergence of the phenomenon of violence after 2003

المصادر

١. سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، دار القادسية ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٢.
٢. باقر ياسين ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، الوقائع- الدوافع – الحلول، ط١، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ١٩٩٩، ص٢٨.
(*) مملكة كيش: مدينة تبعد ٨٨كم جنوب شرق بغداد وهي إحدى المدن التي مدت نفوذها وسيادتها على كل بلاد سومر ، وهي إحدى ممالك عصر السلالات وكان آخر ملوكها أور زبابا الذي أزاحه سرجون الأكدي عام ٢٣٥٠ ق.م .
(*) مملكة أورك : هي الوركاء حاليا وتقع في جنوب العراق إلى الشمال من مدينة أور وقد سادت على بلاد سومر بعد مملكة كيش ومن أشهر ملوكها الملك (دي موزي) والملك (جلجامش).
٣. د. ثروت عكاشة ، الفن العراقي القديم – سومر – بابل – آشور ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر بيروت ، ص٢٨.
(*) يقف الباحثون في حيرة من تفسير التشريع الذي أصدره صدام بقطع أذن الذي يهرب من الخدمة العسكرية إذ أن هذا القرار جاء في وقت بعد حربي الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨) والثانية(١٩٩١)، الذي يدل على شخصية صدام شخصية متواصلة مع شخصيات هؤلاء الحكام القساة ولطالما تغنى صدام حسين بأنه حفيد نبو خذ –نصر الذي يعد من أقسى الحكام في التاريخ.
٤. عبد الحكيم ذنون، تاريخ القانون في العراق ، دار علاء الدين، دمشق، ص١٨٠-١٨١.
٥. فيليب حتي ، تاريخ العرب ، دار غندور للطباعة والنشر ، بيروت ، ص٢٣٩.
٦. هادي العلوي ، من تاريخ التعذيب في الإسلام ،دار المدى للثقافة والفنون ، ط٣، ٢٠٠١، ص٨٢.
(*) استشهد في مسجد الكوفة وهو يؤدي صلاة الفجر سنة ٤٠ هج على يد أحد الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي قام بضرب الإمام (ع) بسيف مسموم على رأسه .
٧. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص٩٨.
٨. د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي،مكتبة المعارف ، مصر ،ص١٥٥.
٩. هادي العلوي، المصدر السابق ، ص٢١.
١٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ص٣٤٨.
١١. باقر ياسين، المصدر السابق ، ص١٠٠.
١٢. فيليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ج٢، الدار المتحدة، بيروت، ص٦٩؛ وينظر كذلك: هادي العلوي، المصدر السابق، ص٩٥.
(*) سعيد بن جبير:هو سعيد بن جبير الاسدي من أشهر التابعين ومن القراء المعروفين عينه الحجاج قاضيا ولكنه اشترك مع ابن الأشعث في موقعة دير الجماجم ومعه مجموعة من القراء ومن والاهم ثائرين ضد ظلم الحجاج وسميت بثورة القراء .
١٣. القاضي بن خلكان ، وفيات الأعيان ، المجلد ٢، ، دار صادر ، بيروت ، ص٢٢٩.
١٤. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار التراث العربي ، بيروت ، ص٣٤٤.
١٥. د. ابراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٦، ص٥٩.
١٦. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢ ، ج ١ ، دار الراشد، بيروت ، ٢٠٠٥، ص١٤.
١٧. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص١٨٠.
١٨. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩، ص٣٧.
١٩. د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث ، من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص١٤.
٢٠. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص٢١٥.

٢١. د. عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق، ص١٧.
٢٢. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٨، بغداد ، ص٣١٢.
٢٣. د. جورج حبيب ، الأيزديين بقايا دين قديم ، دار بترا ، دمشق ، ص٦٦.
٢٤. علي الوردي ، المصدر السابق، ج٣، ص٦٦.
٢٥. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص٢٧٢.
٢٦. باقر ياسين ، المصدر نفسه ،ص٢٧٥-٢٧٨.
(*) ليس بخافٍ علينا نحن الذين عاصرنا سقوط بغداد صبيحة ٢٠٠٣/٤/٩ ، ما حدث فيها من نهب وتخريب جماعي اشتركت فيه أطياف متعددة من المجتمع . إلا أن السجناء لم يكسروا السجون فقد تكفل صدام بإطلاق سراحهم بقرار العفو العام في ٢٠٠٢/١٠/٢٠.
٢٧. علي الوردي ، لمحات اجتماعية ، ج٢، المصدر السابق، ص٣٢٨.
٢٨. عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق، ص١٤٢-١٤٣.
٢٩. علي جواد كاظم وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر ، دراسة تحليلية في سيوسولوجيا المؤسسة السياسية في العراق(١٩٢١-٢٠٠٣) رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١٩٣.
(*) كانت ميول عبد الـ رحمن النقيب أول رئيس وزارة ميولاً عثمانية ويحرم العمل مع الإنكليز إلا أن المس بيل السكرتيرة الشرقية استطاعت اقناعه بأنه إذا رفض تشكيل الوزارة ستعهد بها إلى شيعي عند ذلك وافق مضطراً. ينظر: المس غير ترود بيل ، فصول من تاريخ العراق القديم ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، د.ت ، ص٤٧٨.
٣٠. حنا بطاطو ، العراق ، الحزب الشيوعي ، ترجمة عفيف الرزاز ، ط ١، ج ٢، المكتبة الوطنية ، طهران، ٢٠٠٥، ص٩٣.
(*)مازال كبار الساسة العراقيين يتذكرون الظلم والاضطهاد والتعسف الذي مارسه شيوخ العشائر والأعيان الذين كانوا دعامة النظام الملكي ويده الضاربة حتى أن الشيخ لم يكن يسأل أو يحاسب على قتل الفلاح أو نفيه أو مصادرة أمواله لذلك كان رد الفعل الجماهيري تجاه سقوط العهد الملكي كبيراً جداً بسبب ما كان يلاقيه أبناء الشعب العراقي وكان اغلبهم من الفلاحين .
٣١. عبد الرزاق الحسني ، الأسرار في حركة السنة ١٩٤١ التحررية ، ج١،ط٦، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠، ص٣٢-٣٣ .
٣٢. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٤، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٠٥-٢١٠؛ وينظر كذلك الحسني ، الأسرار في حركة السنة ١٩٤١، المصدر السابق، ص٣٦.
(*) ترك الوصي مزيجاً من الحقد والكراهية في نفوس أبناء الشعب بسبب قسوته وغلظته وتفرده بالأمور.
٣٣. عبد الرزاق الحسني ، الأسرار الخفية ، المصدر السابق ، ص١٧٦.
٣٤. المصدر نفسه ، ص١٧٣.
٣٥. وليد الأعظمي، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٨٧، ص٤٧.
٣٦. صادق حسن السوداني ، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ -١٩٥٢، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط٢، ١٩٨٦، ص١١٣.
٣٧. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص٣٠٤.
٣٨. حنا بطاطو، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٢١٤.
٣٩. مصدق حسن الجنابي ، الديمقراطية والعراق ، الزقورة ، ٢٠٠٢ ، أنظر على شبكة المعلومات الدولية (www. Geocities.com / zaqurah)
(*) تبقى مسألة تصفية العائلة المالكة بعد استسلامها من الأمور التي تسجل ضد قادة الثورة ، ويذكر مجيد خدوري أن اتفاقاً سابق بين عبد الكريم قاسم والضباط الأحرار بتصفية الوصي ونوري السعيد الملك خشية أن يستطيعوا من استعادة السلطة إذا ما هربوا خارج العراق ، إلا ان المحزن في الأمر أن تقتل نساء وعجائز وأطفال في صبيحة ذلك اليوم الدامي . ينظر إلى: مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، ط١، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤، ص٦٧-٦٨.
٤٠. باقر ياسين ، المصدر السابق ، ص٣١٠- ٣١١.
٤١. مجيد خدوري ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

٤٢. فيصل حسون ، مصرع المشير الركن عبد السلام عارف هل كانت نتيجة مؤامرة ؟ أم من صنع القضاء والقدر – دار الحكمة ، لندن ، ١٩٩٥، ص٨٦.
٤٣. د . فالح حنضل ، اسرار العائلة المالكة في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ص ١٣٧-١٣٨.
٤٤. الكتاب الأسود لصدام حسين ، مجموعة مؤلفي باشراف كريس كوتشيرا، ترجمة خسرو بوتاني، ط١ ، دار أراس للطباعة والنشر ، أربيل ، العراق ، ٢٠٠٧، ص١٠٧.
(*) مثال ذلك ، إصدار مجلس قيادة الثورة المنحل ، قانون رقم (٤٦١) في سنة ١٩٨٠ الذي يقضي بإعدام كل من ينتمي إلى حزب الدعوة الإسلامية وبأثر رجعي . ينظر إلى : حسن شبر العراق السياسي المعاصر ، حزب الدعوة الاسلامية بحث وثائقي في مسيرة الدعوة ، ط١ ، ج٤، مطبعة شريف، قم ، ٢٠٠٦، ص٧٠٨-٧٠٩.
٤٥. الخيارات الدستورية لعراق ما بعد الحرب ، أشرفت عليه وحررته سياين أو كلير، المعهد الديمقراطي للشؤون الدولية ،واشنطن ٢٠٠٣ ، ص١٤.
٤٦. حنا بطاطوا ، العراق ، الكتاب الثالث ، المصدر السابق ، ص٣٩٨-٣٩٩؛ وينظر كذلك:حسن العلوي ، العراق دولة المنظمة السرية ، لندن ، ١٩٩٠، ص١٦٧-١٦٨.
٤٧. حسن العلوي ، العراق دولة المنظمة السرية ، لندن ، ١٩٩٠ ، ص١٢٢؛ وينظر كذلك: وفيق السامرائي ، حطام البوابة الشرقية وحقائق عن الزمن السيء في العراق (قراءة جديدة في حرب الخليج الأولى والثانية)، دار القبس للصحافة والنشر ، الكويت ، ١٩٩٧، ص٤٢.
٤٨. وفيق السامرائي ، المصدر السابق ، ص٤٢؛ ينظر كذلك : بشتوان صادق، موسوعة الارهاب، ج٣، مصدر سبق ذكره ، ص١٨ .
٤٩. احمد عبد الله أبو زيد العاملي ، محمد باقر الحكيم السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ط١ ، ج٤، مؤسسة المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص٢٧٩-٢٨٢.
٥٠. حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط٢، لندن ، ١٩٩٠، ص٣١٢-٣١٤.
٥١. حسن العلوي ، العراق دولة المنظمة السرية، لندن ، ١٩٩٠، ص٦٦-٦٨.
٥٢. حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، المصدر السابق ، ص٣١٤.
٥٣. الكتاب الأسود ، المصدر السابق ، ص٢٤٦.
٥٤. د. أحمد أبو مطر، سقوط الدكتاتورية (دراسات، تقارير ، وثائق) مطبعة الأنصار الإسلامية ، بيروت، ٢٠٠٣، ص٦٥؛ وينظر كذلك: هادي فريد التكريتي ، الأنفال مجزرة الحقد العنصري ، الحوار المتمدن ، العدد١٦٥١، ٢٠٠٦/٨/٢٣، شبكة المعلومات الدولية ،ص١ :www.ahewar.orgLdebatLshow.art.asp?aid=73510-30k
٥٥. أحمد أبو مطر ، المصدر السابق، ص١٣٠.
٥٦. آية الله السيد هادي المدرسي ، لكي لا يقوم طاغوت جديد، دار أهل البيت عليهم السلام، طهران ، ٢٠٠٤، ص٨٥.
٥٧. هادي المدرسي ، المصدر نفسه ، ص٨٨.
٥٨. د. فالح عبد الجبار وآخرون، ديناميكيات النزاع في العراق ، ط١، بغداد ، ٢٠٠٧، ص٣١-٣٢.
٥٩. عصام نعمان ، العراق على مفترق التعدد والتوحيد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٤٧.
٦٠. احمد منصور ، قصة سقوط بغداد الحقيقية بالوثائق ، الدار العربية للعلوم – بيروت ، ٢٠٠٤، ص ١٣٥.
٦١. عبد الحسين شبعان ، الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد ٢٩٧ ، ٢٠٠٣ .
٦٢. أكرم جاسم محمد الشيباني ، الاحتلال الانكلو امريكي للعراق ٢٠٠٣ ، دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات السياسية ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٨

٦٣. علي الجابري ، اسرار الساعات الاخيرة لسقوط بغداد ، المطبعة الاهلية ، عمان ، ٢٠٠٤ ، ص ١٥٥.
٦٤. نادر فرجاني، احتلال العراق بين ادعاء التحرير ومطامع الاستعمار، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٩٣ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧
٦٥. جيف سيمونز ، عراق المستقبل ، ترجمة سعيد العظم، ط ١، دار الساقي للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٠٣.
٦٦. فاضل الربيعي ، نتائج وتداعيات الاحتلال ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد ٢٨٠ ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٢.
(*) ظهور أنواع من الصراع داخل المجتمع العراقي مثل أحداث صيف ٢٠٠٣ في كركوك وظهور صراع قومي بين التركمان والأكراد وظهور صراع طائفي بين السنة والشيعة مثل اغتيال الرموز الشيعية ومنهم (السيد محمد باقر الحكيم) وحوادث عام ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ بعد تفجير قبة الإمامين العسكريين في سامراء وما جرى بعد ذلك من قتل وتهجير على الهوية .
٦٧. جاسم يونس الحربي ، الوحدة الوطنية ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات المستقبل العربي ، بيروت ، العدد ٣٠٥ ، ٢٠٠٤ ، ص ٥١.
٦٨. جاسم يونس الحربي ، المصدر السابق ، ص ٨٥
٦٩. حسن درويش العاملي ، الثقافة العراقية بين خيارات الاستلاب والانفتاح ، مجلة النبا ، المستقبل للثقافة والنشر ، بغداد ، العدد ٧٤ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢.
٧٠. د حميد حمد السعدون ، الحوار الحضاري بعين الاصولية وسياسة الهيمنة ، مجلة الدراسات الدولية ، مركز الدراسات الدولية ، بغداد ، العدد ٦٢ ، ٢٠٠٤ ، ص ٦.
٧١. فريق أبحاث برئاسة د . فالح عبد الجبار واخرون ، ديناميكيات النزاع في العراق ، التحرير والاشراف اللغوي حسين بن حمزة ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٨ – ٦٩.
٧٢. فريق أبحاث ، ديناميكيات النزاع في العراق ، المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧.